الجمهورية | العدد 1069 | الثلثاء 14 تشرين الأول 2014
www.aljoumhouria.com | @aljoumhouria

رأي

منح الصلح: ضمير الصيغة والميثاق

أيمن جزيني

تنطوي الكتابة عن منح الصلح، المفكّر والقومي العروبي المتنوّر والكاتب، على مخاطرة ليس أقلّ نتائجها الخطأ. فالراحل الكبير كان مناضلاً من طراز رفيع وأنيق، إن ـ صحّ التعبير ـ لِما اختاره من رؤية قومية تختلف عن مثيلاتها التي سَلكَت مسالك العنف والتخريب في البلد وذَرّرت أهله جماعات ومِلَل.

لم يكن الصلح كاتباً عابراً في الصحافة اللبنانية، وهو الذي طَبع بَصمته المميزة الزميلة «الحوادث». مارس السياسة بحرفة رجال الجمهورية الأولى، وظلّ هكذا بعد إقرار «وثيقة الوفاق الوطني».

سنواته الـ ٨٧ عرفت باكراً معنى لبنان، فكان «ضمير الميثاق» وروح الصيغة اللبنانية التي كرّسها في كلّ حِراكه الفكري والثقافي والسياسي والصحافي. لم يترك شيئاً متّصلاً بالميثاق والصيغة إلّا وحَلّله حتى آخر الحدود غير عابىء بالطبقات السياسية المتعاقبة. لم تُغره السلطة يوماً ليتنازل من أجل لقب. جُلّ هَمّه كان في وَعي دور لبنان بكلّ مكوّناته للنهوض بعروبة حضارية. إيمانه ما وَرّطه يوماً في مزاوَجة الإسلام بالعروبة.

منح الصلح يعني في ذاكرة كلّ من خَبر الشأن العام، قراءةً أو سلوكاً أو كتابة، انه ضمير وطني وصاحب رؤية لا رأي فقط في السياسة، التي تعني أوّل ما تعني بناء الدولة والوطن المحكوم بالقوانين لا بعُنف جَماعاتِه. مُجايلوه لا يرون فيه إلّا سؤدداً عنيداً في تصويب سياق الاختلاف السياسي، وتغليب الاعتدال على التطرّف حتى هزيمة الأخير.

عندما فقد اللبنانيون ـ أهلاً وجماعات ـ صوابهم ورُشدهم السياسي، إنبرى وحيداً لتوكيد الميثاق روحاً لا نَصّاً، على قاعدة انّ لبنان مفهوم وليس نصوصاً قابلةً للتعديل متى طَغَت فئة على أخرى. هَمّه انحصر بوحدة لبنان وديموقراطيته. آمنَ بالقضية الفلسطينية كبوصلة وحيدة لسلوك مَسار الديموقراطية والتنوّع، لكنه لم يُغَلّب مشروعيتها على لبنان، وإن عَجز عن التصدي للعنف الرهيب الذي اجتاح البلد لاحقاً. كان رأيه وبَصيرته السياسية ضروريّين للمشاكسة الفكرية مع تيّارات البلد يساراً ويميناً، وقد يكون كثرة من هؤلاء اختَصَموه، لكنّ أحداً منهم لم يُعادِه.

«ضمير الصيغة والميثاق» هو أحد أبناء العائلة التي خرج منها سياسيون كبار خلال القرنين الماضيين، كذلك هو قريب كلّ من الرئيسَين الراحلَين رياض وتقي الدين الصلح، لكنه جانبَ السياسة التقليدية فلم يَترأس منصباً يُضفي عليه لقباً يُقيّد حركته الفكرية ووَعيه القومي العروبي، بل امتهنَ السياسة حِرفةً ودَرَبة.

مواقفه وكتاباته تحسم بانحيازه المُطلق الى ضجيج الأفكار التي كانت تؤرّق البلد قبل أن تفجّره. نحتَ في السياسة مفردات تحوّلت إلى لغة ثابتة، كـ«المارونية السياسية».

فَهِمَ باكراً أنّ لبنان لن تتحوّل قوّته إلى ضعف. إتّفقتَ معه أو لا، سَيّان. لكنه طبع مرحلة حافلة بالأحداث التي غيّرت وجه البلد وبُنى قِواه السياسية. لم يَصل في محراب مفاهيم الجمهورية الأولى، ولا وَقفَ على مذابح الشعارات الرنّانة. دائماً كان يحاول التجريب في التفكير. كثيرة أفكاره التي لم تلاق حضوراً بين الضجيج اللبناني، لكنّ شخصه ما غاب عن الوقائع فكانت كلّ مِن دار الندوة، واللقاء اللبناني الوحدوي، فالمؤتمر القومي العربي، ثم المؤتمر القومي - الإسلامي.

نافح عن لبنان على طريقته. مواقفه استفَزّت في أحايين كثيرة الأضداد والمتناقضات ضده، فما أرضى لا يميناً ولا يساراً بل ظلّ يَصدحُ بالعروبة المتنوّرة المتحرّرة من تَسلّط الشخص أو العائلة. أفكاره حالت دون دخوله مربّع السّاسَة المتناسلين عن أهلهم مَنابت ونوازِع.

رحيله عمّا آلت إليه الأوضاع أعلَنه عام ٢٠٠٥ عندما تَعفّفَ عن الكتابة، وقال إنّ هوية الإنسان صارت تُعرَف من اسمه. حاول كثيراً أن يُعيد اللبنانيين، في ندائه الأخير عبر الوثائقي «حرب لبنان»، الى ضرورة فهم الصيغة اللبنانية قبل مباشرة السياسة.

الرحيل إلى مكان آخر حَتميّ، لكنّ رحيل منح الصلح جاء متوازياً مع سقوط دول عربية لطالما هَجسَ بقضاياها، وبتعقيدات تراكيبها الاجتماعية. رحلَ منح الصلح. رحلَت الصيغة اللبنانية. سقطت العروبة بين أيدي «داعش» و«النصرة». حدود لبنان محفوفة بمخاطر من كلّ حدب وصوب. سوريا صارت تقاطعاً لأشلاء الأجساد. العراق رهين المحبسَين الإيراني والأميركي. اليمن تقتله العصبيّات ويَئنّ جوعاً. كلّ هذا وفلسطين صارت أشبَه برواية أكثر منها قضية مُحقّة لشعب مشرّد في أصقاع الأرض.

الحريري: البحث في أسماء توافقية للرئاسة بعد التمديد

رئاسة الجمهورية الملف الأساس في لقاء روما (دالاتي ونهرا)

في اللقاء الأوّل منذ آذار 2014، وبعد خمسة أشهر على الفراغ الرئاسي، جمعَت العاصمة الإيطالية البطريرك الماروني مار بشارة بطرس الراعي والرئيس سعد الحريري الذي أطلق موقفاً بارزاً أكّد فيه بدءَ البحث عن أسماء توافقية لرئاسة الجمهورية بعد التمديد للمجلس النيابي.

زار الحريري فور وصوله إلى روما مساء أمس، الراعي، في مقر البطريركية المارونية في روما، وعقد معه اجتماعاً حضرَه المعتمد البطريركي لدى الكرسي الرسولي المطران فرنسوا عيد ونائبه المونسنيور طوني جبران ومدير مكتب الحريري نادر الحريري والنائب السابق غطاس خوري ومستشار الحريري داوود الصايغ.

وأعقَب اللقاء الموسّع خلوة بين الحريري والراعي، تحدّث قبلها البطريرك إلى الصحافيّين، مكتفياً بالقول: «الرئيس الحريري وأنا نتكلّم دائماً لغة واحدة».

«أولويّتنا الرئاسة»

وبعد خلوة استمرَّت ساعة كاملة، جدَّد الحريري موقف تيار «المستقبل» الرافض إجراء الانتخابات النيابية قبل الرئاسية، «لأنّنا نرى أنّ رأس الدولة ورأس السلطة هو رئاسة الجمهورية والأساس في البلد هو انتخاب رئيس للجمهورية». وقال: «البطريرك حريص على أن تقدّم كلّ القوى السياسية مبادرات، ومن هذا المنطلق لا بدّ من الوصول الى توافق لانتخاب رئيس للجمهورية، تكون كل الأطراف متوافقة عليه». ورأى الحريري أنّ «التمديد ضرورة لعدم الدخول في المجهول وليس لأنّنا نريده في حدّ ذاته، إذ كنا نتمنّى انتخاب رئيس للجمهورية الأمس قبل اليوم وغداً قبل بعده»، مضيفاً: «الأولوية اليوم بالنسبة إلينا هي لعدم دخول البلاد في المجهول، وإذا حصل التمديد، الأولوية الأساسية هي لانتخاب رئيس للجمهورية».

وأوضح «أننا تحدثنا في الصعوبات الاقتصادية التي يمر فيها البلد وموضوع اللاجئين والمشاكل الأمنية، لكن الأساس كان ملف رئاسة الجمهورية والمبادرات التي يمكن أن نقوم بها».

وأشار الحريري إلى أنّ ما يهمّ الراعي هو انتخاب رئيس للجمهورية، واصفاً التمديد للمجلس النيابي بأنّه «كأس مرّة يجب تجرّعها لأنّ البلد يمكن أن يتّجه الى المجهول». وقال: «إذا أجرينا الانتخابات النيابية، سنختلف على رئاسة المجلس ورئاسة الجمهورية وستكون الحكومة حكومة تصريف أعمال، لذلك ندخل إلى مجهول خطر جداً، أعتقد أنّ جميع اللبنانيّين لا يريدونه». وأكّد الحريري «أنّنا لا نخاف إجراء الانتخابات النيابية لكنّنا نحرص على عدم الدخول في المجهول»، مشيراً إلى أنّ «الأفرقاء السياسيّين هم مَن يتّفقون على مدة التمديد. لكنَّ الأهم هو ما قاله الرئيس نبيه برّي، وهو أنّه إذا حصل التمديد ثم انتُخب رئيس للجمهورية، فيجب حصول إنتخابات نيابية بعد ستة أشهر. لا بد من تأليف حكومة جديدة حيث نحاول التوافق على قانون جديد للانتخابات، ولكن بعد ستة أشهر لا بد من حصول انتخابات نيابية».

«لا فيتو»

وشدَّد الحريري على أنّ «موقفَنا واضح من الأسماء، فلا فيتو على أيّ شخص، وكنّا نتمنّى لو تمّ التوافق على اسم الرئيس»، مضيفاً: «بعد الحوار مع البطريرك الراعي وبعد التمديد، علينا كقوى «١٤ آذار» البحث عن أسماء يمكن أن تتوافق عليها الأحزاب السياسية مثلما حصل عام ٢٠٠٧»، معلناً «أننا سنُبادر ونتحاور، ولا أظنّ أنّ الفريق الآخر يريد استمرار الفراغ الرئاسي، وهو حريص على الجمهورية ورئاسة الجمهورية، وعلينا أن نحاول إيجاد الأسماء التي يمكن أن تناسب الجميع».

بعد ذلك لبّى الحريري والوفد المرافق دعوة الراعي إلى مأدبة عشاء أقامها على شرفه، على أن يلتقي اليوم وزيرة الخارجية الإيطالية فيديريكا موغريني ووزيرة الدفاع روبرتا بينوتي.

«لوفيغارو»

وكان الحريري اعتبر في مقابلة مع «لوفيغارو»، أنّ «ما يُسمّى «الدولة الإسلامية» ليس لا دولة ولا إسلامية، بل هو مجموعة إرهابيّة ترتكب أفعالاً همَجيّة ودنيئة باسم ديننا، والغالبية الساحقة من المسلمين معتدلون»، مشيراً إلى أنّ «المعتدلين في العالم العربي متّحدون وعازمون على مكافحة التطرّف، ولكن عليهم أن يواجهوا في الوقت نفسه تدخّل إيران في بلدانهم». وشدّد على أنّ «ضربات التحالف العسكرية ضرورية لكنّها غير كافية. ويجب بأيّ ثمن دعم وتعزيز المعتدلين، أيْ الذين يرفضون التعصّب الديني ويدعون إلى الفصل بين السياسة والدين في شؤون الدولة ويحترمون المبادئ الديموقراطية وحقوق الإنسان»، مشيراً إلى أنّ «لبنان الذي هو نموذج للتسامح والعيش المشترك للمنطقة كلّها مُهدَّد اليوم بالاهتراء المؤسّساتي، نتيجة الشغور في الرئاسة الاولى، ونحن نحاول منذ أيار انتخاب رئيس ونعمل بكلّ ما أوتينا من قوّة لإنهاء هذا الشغور».

«حزب الله سبب التدهور»

وحذّر الحريري من أنّ «الوضع الأمني في لبنان يتدهور نتيجة تدخّل «حزب الله» في الحرب السورية منذ العام ٢٠١٢، فهذا التدخّل من حزب - ميليشيا لبناني على أرض أجنبية حصل بلا استشارة اللبنانيين ولا الدولة اللبنانية».

وأضاف: «يزعمون أنّهم ذهبوا إلى هناك لمنع المجموعات الإرهابية السورية من القدوم إلى لبنان، لكنّ هذه المجموعات نفسها تتذرَّع بتدخّل «حزب الله» في سوريا لجلب المعركة الى لبنان، وإضافة إلى ذلك، نواجه تدفّق ١.٣ مليون لاجئ سوري، كما لو كان على فرنسا استضافة ٢٠ مليون لاجئ في غضون ثلاث سنوات».

ولفت إلى أنّ «ما مِن بلد يمكن أن يواجه نسَباً كهذه، ولهذا السبب، المساعدة الدولية ضرورية لامتصاص تأثير هذا التدفق ودعم الجيش اللبناني في معركته ضدّ المجموعات المتطرّفة. وقد وضع الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز في تصرّف الجيش والقوى الأمنية مبلغَ مليار دولار لتلبية الاحتياجات العاجلة في مجال مكافحة الإرهاب، ويُشرّفني أن أكون موكّلاً توزيعَها».

> الراعي: أنا والحريري نتكلم دائماً لغة واحدة

وعمّا إذا كانت هذه المساعدة تُضاف إلى التزام السعودية تمويلَ شراء أسلحة فرنسية للجيش بقيمة ثلاثة مليارات دولار، أوضح أنّ «هذا اتّفاق بين فرنسا والسعودية، ولستُ طرفاً فيه. وأعتقد أنّ هذا الاتفاق سار، والأمور ستتحقّق قريباً».

إلى ذلك، رأى الحريري أنّ تصدير السعودية للوهابية على مدى ثلاثين عاماً هو أساس التطرّف الإسلامي، «قول مخالف للواقع»، مضيفاً: «أنظر الى دعم الرياض لمصر اللواء السيسي أو للجيش اللبناني في معركته ضد المجموعات الإرهابية. فالملك عبد الله هو على رأس النضال الثقافي والسياسي ضد التطرف الذي يدَّعي الانتماء الى الإسلام، ولولا دعم الملك ومشاركته، لما كان هناك تحالف دولي ضد «داعش». يجب النظر الى مكان آخر.

فنواة الدولة الاسلامية وأساسها مكوّن من السجَناء السابقين لتنظيم «القاعدة» الذين أطلِقوا عن قصد من سجون نوري المالكي وبشّار الأسد. وكلاهما اعتقدَ أنّ خلقَ فزّاعةٍ إرهابية يجعله أساسياً في نظر الدوَل الكبرى، لكنّهما خلقا وحشاً خرج عن السيطرة».